ازمة الهوية الوطنية في الفكر السياسي العراقي المعاصر 1921-1979

م. د عامر حميد سلطان
رئاسة الجامعة المستنصرية
(aamerhamid.s@uomustansiriyah.edu.iq)

ملخص البحث:

مثلت ازمة الهوية الوطنية في الفكر السياسي العراقي المعاصر حالة من الانقسام الداخلي في بنيته المجتمعية, بوصف, ان المنطلقات الفكرية التي ارتكزت على ايدولوجيات مختلفة لمنظريّ الفكر السياسي العراقي لم تنشأ على اسس وطنية بحته, في محاولة لاختزال الهوية الوطنية بمفهومها العام بالهوية الحزبية المتشكلة وفق ايدولوجيات خارجية في مسعى لتقديمها على انها هوية العراق الوطنية, والتي اثرت بشكل مباشر او غير مباشر على وحدة تلك البنية الفكرية للعراق وهويته الوطنية, متجاوزاً مقولة "اعرف نفسك", كمقدمة لمعرفة الفكر الآخر بجنسه وقوميته ونوعه وانتمائه, لذلك, فان الفكر السياسي في كثير من الاحيان لم يعرف ذاته كمقدمة لمعرفة الآخر, خالطا بين كثير من المفاهيم الفكرية والمرجعيات السياسية, وصولاً الى ثنائيات لاحقة عن الهوية الوطنية والهوية الحزبية والانتماء والمعتقد والليبرالي واليساري والتقدمي والقومي والبعثي والاسلامي, ثنائية "الحق والضلال", انتهت الى ركام لا شكل له. واقع الامر, ان السياق التاريخي لمفهوم الهوي الوطنية مرَّ بمخاض عسير انتجت في نهاية المطاف هوية مأزومة بعد ان فقدت عناصر تكوينها, فمن الهوية الليبرالية بعيداً عن هوية العروبة والاسلام حتى عن الشرق اصلاً, الى الهوية اليسارية, يفسر ذلك باليأس الصريح من النهوض مرة اخر, لا بلغة اتهامية غير مبرأة من الطائفية, فمن المفكر المحاصر الى التبعي نؤكد معضلة الحفاظ على الهوية الوطنية بعد ان فقدت قيمتها بسبب انحدار المسلمين وتقدم الغرب على الشرق, بحسب توصيف بعض المؤرخين.

الكلمات المفتاحية: (الهوية الوطنية, الفكر السياسي, الاحزاب السياسية, المجتمع العراقي)

The Crisis of National Identity in Contemporary Iraqi Political Thought 1921-1979

Assi. Dr. Amer Hamid Sultan
Presidency of Al-Mustansiriyah University

Abstract

The crisis of national identity in contemporary Iraqi political thought represented a state of internal division in its societal structure, as the intellectual premises that were based on different ideologies of the theorists of Iraqi political thought did not arise on purely national foundations, in an attempt to reduce national identity in its general concept to the partisan identity formed according to external ideologies in an attempt to present it as Iraq's national identity, which directly or indirectly affected the unity of that intellectual structure of Iraq and its national identity, going beyond the saying "know yourself", As an introduction to knowing the other thought with its gender, nationality, type and affiliation, therefore, political thought in many cases did not know itself as an introduction to knowing the other, mixing many intellectual concepts and political references, arriving at subsequent dualities about national identity, party identity, affiliation,

belief, liberalism, leftism, progressiveism, nationalism, Baathism and Islam, the duality of “truth and error", It ended up as a formless rubble. In fact, the historical context of the concept of national identity went through a difficult labor that ultimately produced a troubled identity after it lost its constituent elements, from the liberal identity far from the identity of Arabism and Islam, even from the East originally, to the leftist identity, this is explained by the explicit despair of rising again, not by accusatory language that is not innocent of sectarianism, from the besieged thinker to the dependent, we confirm the dilemma of preserving the national identity after it lost its value due to the decline of Muslims and the advancement of the West over the East, according to the description of some historians.

Keywords: National identity, political thought, political parties, Iraqi society.

المقدمة Introduction:

شكلت التحديات التي مرّ بها العراق على المستوى السياسي والاجتماعي منذ تأسيس دولته 21 آب 1921, مرحلة حرجة من مراحل التغيير الجوهري ازاء مفهوم الهوية الوطنية, بعد تقسيم البلاد العربية اعقاب الحرب العالمية الاولى 1914-1918, وحقيقة الشعور بالانتماء الى الوطن بحسب التقسم الجديد للبلاد العربية, ولعلنا لانعدو الحقيقة, اذا قلنا ان العراق كان ولازال يعاني من ازمة الهوية الوطنية في ظل تعدد الايديولوجيات والمنطلقات الفكرية للنخب السياسية خلال العهدين الملكي والجمهوري, على الرغم من ذلك كله, وبما يضمنه ترسيخ الهوية الوطنية على مستوى الاستقرار السياسي والمؤسساتي, والوحدة الوطنية, لكن, تبقى المؤثرات الايديولوجية تطغى وتضغط على شرعية الهوية الوطنية في العراق, بما يضمن مصالح تلك الاحزاب والتيارات السياسية التي كانت على رأس السلطة, على حساب الهوية الوطنية بمفهومها العام, اضف الى ذلك, اهمية العامل الدولي في تفكيك الهوية الوطنية للعراق بهدف تصدير الايديولوجية الليبرالية او اليسارية وتطبيقها كما هي وبما يضمن مصالح تلك الدول لا مصلحة الوطن التي يجب ان تكون اولوية لدى النخب السياسية على اختلاف توجهاتها الفكرية.

مشكلة البحث Research problem:

يعالج البحث مشكلة اساسية في تاريخ العراق المعاصر منذ اعلان دولته في 23 اب 1921, بعد ان غاب مشروع الهوية الوطنية عن اذهان النخب السياسية مصدرة في الاساس هويتها الحزبية وفق ايدولوجية خارجية لم تخضع للتقييم على اسس وطنية, الى جانب ذلك, يعالج البحث مسألة تشظي الرؤية الوطنية لدى طبقة السلطة التي حكمت العراق خلال العهدين الملكي والجمهوري, وفشلها في تقديم هوية وطنية يعتقد بها كافة اطياف المجتمع العراقي.

اهمية البحث Research importance:

تكمن اهمية البحث في اظهار الازمة التي يعاني منها الفكر السياسي العراقي في ظل تعدد الهويات الدينية والمذهبية والعرقية فضلا عن السياسية, والتأثير الواضح على بنية المجتمع العراقي الفكرية التي انجذبت وايدت تلك الانقسامات بفعل تغذيتها سياسياً لتثبيت نفوذها على حساب الاسس الوطنية.

منهجية البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي, فضلا عن, المنهج التاريخي في تناول موضوعات البحث.

اولا: ملامح بناء الهوية الوطنية في الفكر السياسي العراقي:

شكلت التحديات التي مرّ بها العراق على المستوى السياسي والاجتماعي منذ تأسيس دولته 21 آب 1921, مرحلة حرجة من مراحل التغيير الجوهري ازاء مفهوم الهوية الوطنية التي تعكس معرفة وإدراك الذات القومية ومكوناتها من القيم والأخلاق والعادات والتقاليد، وتشكل سمات وخصائص يتميز بها شعب ما عن غيره من الشعوب، وترتبط هذه السمات بالسلوكيات العامة لمجموع الأفراد والعلاقات السائدة والمنتج الفني والثقافي لهذه المجموعة أو هذا المجتمع. وهي تمثل، بحسب الباحث إبراهيم ديب، الوعاء الكبير الذي يعترف ويوثق ويستوعب كل طوائف ومكونات المجتمع، وأنها كائن يتجسد في نفوس أبناء الوطن الواحد كجزء من تكوينهم الوجداني والذهني والنفس, على العكس من ذلك يشير مفهوم الهوية الفرعية او الحزبية الى تغليب المجتمعات الدينية والعرقية بأسمائها وانتماءاتها بشكل رئيس على حساب هويتها الوطنية, وتشكل بهذا أحد المخاطر التي تواجه أنظمة الحكم غير الديمقراطية[1].

ويمكن تقديم تعريف آخر للهوية الوطنية على أنها مجموع السمات والخصائص المشتركة سواء كانت تاريخية وثقافية وانثربولوجية واجتماعية ونفسية وسياسية وكذلك الشعور بالتضحيات لمجتمع يقطن وطن معين عن غيره، وفي ظل حكومة تمثل كل أو معظم هذا المجتمع، ويعتز بها وتشكل جوهر وجوده وشخصيته المتميزة ويدين المجتمع بالولاء لها. بذلك, تتصدر قضية تعزيز الهوية الوطنية أولويات العمل الوطني, كاستراتيجية ثابتة لا تحتمل التغيير ولا التأجيل، باعتبارها أم القضايا الوطنية، وعلى أساساتها ينمو المجتمع، ويكبر، ويتطور، وعبرها تتعزز علاقات أبناء البلد، الشركاء في الأرض والمصير الواحد، الذين تجمعهم لغة واحدة، وتربطهم آمال مشتركة يحلمون بها, ويسعون إلى تحقيقها، باذلين كل الجهود المطلوبة لإنجاح هذا التوجه، الذي لا مكان لقبول بديل عنه، مهما تجملت البدائل ، فالهوية والوطن وحدة واحدة لا تتجزأ أبداً, فضلا عن ذلك ارتباطه بقيادة سياسية تخضع لأراده جماهيرية[2].

ان مجرى التطور التاريخي للفكر السياسي الاسلامي لشعوب الشرق وبالتحديد العراق في النصف الاول من القرن العشرين, ينضوي على تحقيق مصالح دينية واجتماعية وطبقية, فهو يعكس بحثاً عن الجذور التاريخية والتقاليد الروحية, والهوية الذاتية, فعلى الرغم من المحاولات المستمرة لإحلال النظم الليبرالية والاشتراكية محل النظم والتقاليد الاسلامية, عقب سقوط الخلافة العثمانية عام 1923, الا ان المجتمع ظل مستمسكاً بهويته الاسلامية, بل ان جميع ثورات التحرر الوطني التي خاضها الوطنيون في العراق كانت باللجوء الى الدين للبحث عن الهوية الوطنية (الدينية), فالمفهوم الغالب عند الفرد العراقي عن الهوية الوطنية يرتبط ارتباطاً وثيقا بالحفاظ على المعتقد الديني[3].

(1) فارس حسن المهداوي, مستقبل الاقليات في العراق ومصادر تهديدها, 2021, ص4.

(2) خيري عبد الرزاق جاسم, اشكالية الهوية الوطنية في العراق وسبل ترسيخها, "حمورابي" (مجلة), العدد 30, السنة السابعة, 2019, ص191.

(3) يمكن ان نشير هنا ان الجماهير العراقية والقوى الوطنية ابدت في اعقاب ثورة العشرين, ارتياحا كبيرا لتتويج الامير فيصل ملكا على العراق, بوصف انه سليل السلالة الهاشمية وهو بذلك يمثل رمزا وطنيا ودينيا للعراق, ليس هذا فحسب, بل ان الامير فيصل اقترح على السير برسي كوكس ان يكون يوم التتويج في 23 آب 1921, الذي يصادف 18 ذي الحجة وهو يوم عيد الغدير الذي بويع فيه الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بولاية العهد عن النبي ونص عليه بالخلافة. في اعقاب الحكومة العراقية المؤقتة التي كانت قد تشكلت برئاسة عبد الرحمن النقيب في 25 تشرين الاول 1920, التي كان اختيارها لا يخلو ايضا من الطابع الديني فاختيار النقيب من جانب السير برسي كوكس كان ايضاً لاعتبارات دينية حيث جاء اختياره **"لما له من المنزلة الاجتماعية والمقام الروحي"** للمزيد ينظر: عبد الرزاق الحسني, تاريخ العراق, المصدر السابق, ج1, ص192-233؛ علاء جاسم

لكن, مع الهيمنة البريطانية التي فرضت كواقع حال خلال العهد الملكي وبسط سيطرتها على سياسة العراق والتحكم باقتصاده الى حد ما, واجه الفكر السياسي في العراق معضلة رسم ملامح الهوية الوطنية وترسيخها, فوزارة عبد المحسن السعدون الاولى التي حاولت اجراء انتخابات للمجلس التأسيسي من اجل تمرير معاهدة 1922 بين العراق وبريطانيا, لكنها فشلت بعد ان حاول المندوب السامي السير هنري دوبس (Henry Dobbs), اغراء السعدون بمبلغ من المال يدفعه للمجلس من اجل تمرير المعاهدة, وكان عرض المندوب السامي موضع موافقة السعدون اول الامر, لكن رفض المعارضة الوطنية التي مثلها الحزب الوطني و وحزب النهضة حالا دون ذلك[1].

يبدو, بأن حالة التذرر السياسي التي على ما يبدو افضت الى بعثرة الهوية الوطنية العراقية وانشطارها, بفعل ضغط التيارات والاحزاب الليبرالي والاشتراكية, فسح المجال لانتشار الحركات والاحزاب السياسية الإسلامية الساعية لإقامة الدولة على وفق ايدلوجيا اسلامية, والحال, ان الحكم مسبقاً بفشل الانظمة السياسية القائمة في العراق بحكم ضعفها وفشلها في الركون الى هوية موحدة للعراق, من جانب, واغترابها عن محيطها الاقليمي وارتمائها في احضان الدول الغربية, بحسب توصيف بعض المؤرخين, بدءاً من سياستها في التعامل مع حلفائها في الحرب العالمية الثانية 1939-1945, مروراً بالقضية الفلسطينية, والاحلاف الغربية, وموقفها الخجول من العدوان الثلاثي على مصر1956, كل ذلك كان كفيلاً لوضع العديد من علامات الاستفهام حول قيمة الفكر السياسي العراقي اذا فقد هويته الوطنية.

سؤال الهوية هنا الذي لايطرح, منطقياً وتاريخياً, الا بعلاقته بالآخر, يحمل من الوعيد والتهديد اكثر مما يحمل من البشائر والمؤازرة, الامر الذي يطرح العديد من الاشكاليات في سبيل صياغة الهوية الوطنية, فهل الدين ام الثقافة ام القومية هو الاطار العام لصياغة عناصرها؟ اذا ما علمنا ان البحث عن الهوية الوطنية واللجوء لها تسبقه حالة من الاستبداد والقهر لطبقات اجتماعية تحاول الحفاظ على هويتها الفرعية[2].

تنشأ أزمة الهوية عندما تكون التناقضات بين مكونات الدولة الاجتماعية الأصلية والفرعية على أشده ، وعندما يكون هذا التوتر سببا في شلل طاقة الفعل والقلق الدائم ، فأن بناء أية دولة مرتبط أشد الارتباط بقدرة النخب السياسية على صناعة الهوية ، ولعل العراق وفي مراحل تاريخه الحديث واحدا من الدول التي عانى من عدم القدرة على بناء الهوية منذ تأسيسه في العام 1921 إلى يومنا هذا ، فلم تنجح كل الحكومات المتعاقبة على اختلافها وتنوع مسمياتها وأنظمتها السياسية (ملكي ، جمهوري شمولي، برلماني ديمقراطي (من تحديد جواب السؤال الهوية في كتابه (مجتمع اللادولة) يوضح بيار كلاستر دور السلطة السياسية في بناء هوية الدولة ويقر بان المجتمعات البدائية التي لم تعرف نوع من أنواع السلطة ظلت مجتمعات فوضوية انفصالية، أما المجتمعات التي تجاوزت حالة الفوضى وتوصلت إلى نموذج في الانتظام الجماعي المعبر عنه بواسطة السلطة

الحربي, الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق 1883-1933, بغداد, 1990, ص154. والحال, ان هنالك مقدمات مهدت لمجيء هذه الحكومة من بينها الفتاوى التي صدرت من علماء النجف وكربلاء والكاظمية, التي حرمت على المسلمين في العراق التصويت لغير تشكيل حكومة اسلامية في العراق, فعلى سبيل المثال اجاب الشيخ محمد تقي الشيرازي على سؤال حول طبيعة شكل الحكم في العراق وتكليف المسلمين فيمن ينتخبون, فأجاب **" ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب غير المسلم للإمارة والسلطة على المسلمين"** للمزيد ينظر: عبد الله حميد العتابي, الحركة الوطنية في كربلاء واثرها في ثورة العشرين,- "تراث كربلاء" (مجلة), السنة الرابعة, المجلد الرابع, العدد الرابع, كانون الاول 2017, ص301-302.

(1) قحطان حميد كاظم العنبكي, دور النخب السياسية العراقية في تنمية الهوية الوطنية في العهد الملكي (1921-1958), كلية التربية , جامعة ديالي, ص8-9.

(2) فيصل دراج, في معنى التنوير, ضمن بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية تحت عنوان "حصيلة العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر, بيروت, 2005, ص95.

فقد تجاوزت الحالة الانفصالية ووصلت إلى وحدة مجتمعية، فعملية بناء المجتمع الموحد وصيرورة هويته لم يكن أمامها خيار سوى خيار السلطة التي تهيمن وتسيطر بدورها على مركز القرار[1].

هذا الشعور الوطني الذي رافق الفكر السياسي في محاولة لإنتاج هوية وطنية بقي في اطار المقولات السحرية في الرؤى والاحاسيس مشحونة في زوايا الفكر المظلمة ذلك ان عملية تغيير المجتمع لاتحدث بين ليلةً وضحاها, فتطفو الآثار المتبقية من السياق التاريخي للهوية الوطنية احيانا على السطح, وتؤثر في ردود افعالنا وافكارنا, لتوجه سلوكنا العاطفي نحو التمسك بهويتنا الوطنية, لكن, نبقى على مناعتنا اعصياء على التطويع فبين مانؤمن به ونشعر به غالباً مايوجد نوع من الانقسام يعيدنا الى نفس الزجاجة التي حاول الفكر السياسي الخروج من عنقها.

ثانيا: مشروع الهوية الوطنية في الفكر السياسي العراقي 1921-1979:

مثل النظام السياسي في العهد الملكي تحدياً لمشاريع الهوية الوطنية بعدما سعى لبناء نموذج الدولة والأمة ، ولكنه لم يستطع استكماله، بل أنه كان وجها لوجه مع أزمة الهوية الوطنية لعدم تجانس مكونات الشعب العراقي، وكان كل مكون اجتماعي منغلق على نفسه بسبب السياسات التي مارستها الدولة العثمانية[2]، إذ خضع الحضر إلى الشريعة الإسلامية، وكان أهل الريف غارقين في عادات وتقاليد وأعراف العصبية القبلية، فيما كان المثقفون متأثرين بالثقافة التركية، ولم يكن الوعي العروبي قد وصل لما وصل إليه في بلاد الشام ، وهذا لا يعني بأن النظام الملكي لم يسعى لتأسيس الهوية الوطنية، حتى أن الملك فيصل الأول كان محملا بهموم نجاح مشروعه الدولة الأمة، من خلال جمع التنوعات الثقافية وصهرها في كيان سياسي موحد وخلق أمة تشعر بوحدة هويتها، وقد اعتمد لإنجاح مشروعه على خلق نظام تعليمي موحد وفرض التجنيد الإلزامي, ومما يلاحظ بان هاتين الآلتين ظلتا متلازمتين مع الأنظمة السياسية العراقية اللاحقة[3], لكن, مشاريعه اصطدمت بالحالة المجتمعية العراقية المعقدة الى حدٍما بسبب تعدد الهويات الثانوية، فما كان من

(1) طلال حامد خليل, الهوية الوطنية العراقية وآفاق المستقبل, "الفكر القانوني والسياسي" (مجلة), المجلد الرابع, العدد الثاني, 2020, ص40.

(2) يغلب على الصراع العثماني ازاء المجتمع العراقي بانه صراع الهيمنة والسيطرة, فالعشائر المنتشرة في وسط وجنوب العراق غالبا ما ترفض الانصياع لأيِ سلطة اجنبية, وفي الوقت نفسه, كانت الدولة العثمانية تسعى الى عدم التفريط بمكتسبات الاراضي التي هي في الاصل تعود لهيمنة وسلطة شيوخ العشائر في العراق, لذلك, اضطرت وبالتحديد خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى الاعتراف بتلك السلطة لشيوخ العشائر للمزيد عن هذا الموضوع ينظر: عماد احمد الجواهري, تاريخ مشكلة الاراضي في العراق 1914-1932, منشورات وزارة الثقافة والفنون, بغداد, 1978, ص71-72؛ هنري فوستر, نشأة العراق الحديث, ج1, ترجمة: سليم طه التكريتي, ط1, الفجر للنشر والتوزيع, بغداد, 1989, ص49؛ عبد ربه سكران ابراهيم, السياسة العامة للدولة العثمانية تجاه العشائر العراقية من السلطان سليمان القانوني الى السلطان عبد الحميد الثاني, -"جامعة تكريت" (مجلة), مج 15, عدد الثاني عشر, 2008. فغالباً ما اتسمت تلك العلاقات بالصراع العسكري ومحاولة فرض الدولة العثمانية هيمنتها العسكرية, فبمجرد تخلف تلك العشائر عن دفع الضرائب للدولة العثمانية تبادر الاخيرة الى تجهيز حملة عسكرية لحملها على الايفاء بالتزاماتها الضريبية للمزيد ينظر: سامي ناظم حسين المنصوري, الديوانية وتوابعها في وثائق الارشيف العثماني 1865-1917, ط1, دار المدينة الفاضلة, بغداد, 2015, ص44-58؛ والحال, ان تمرد شيوخ العشائر العراقية على السلطة العثمانية لم يقتصر على وسط وجنوب العراق, فعشائر غرب وشمال العراق ابدت تمرداً واضحاً على سياسية الباب العالي, لاسيما خلال السياسة التي انتهجتها الدولة العثمانية في توطين العشائر العراقية عهد الوالي مدحت باشا عام 1869, منها على سبيل المثال رفض شيخ عشائر شمر الجربة مثل هذه السياسة, وكان رده على الوالي مدحت باشا "شمر ما يصيرون بجاجيل (بقالين)" للمزيد ينظر: عبد الجبار العمر, ذيل مطالع السعود تاريخ الشاوي,-"افاق عربية" (مجلة), بغداد, العدد (7), 1981, ص75.

(3) طلال حامد خليل, المصدر السابق, ص40-41.

الملك فيصل الأول إلا أن يعبر عن أسفه لعدم اكتمال مشروعه في انتاج هوية وطنية تنصهر فيها جميع الهويات الثانوية عندما ذكر بقوله: "أقول وقلبي ملآن أسى، انه باعتقادي لا يوجد شعب عراقي بعد، بل توجد تكتلات بشرية خالية من أي فكرة وطنية"[1].

على الرغم مما آلت اليه الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق الملكي 1921-1958, لكن, يبقى ذلك العهد يحمل صفات واساليب الصيغ الدستورية والبرلمانية التي بدت الى حدٍ ما ديمقراطية حكمت تلك الحقبة من تاريخ العراق السياسي, بالمقابل, ادى سقوط النظام الملكي واعلان الجمهورية الى تعطيل تلك المؤسسات الدستورية, التي يمكن ان تحفظ للشعب حقوقه وامتيازاته التي يجب ان يتمتع بها كل مواطن عراقي, والامر لا ينحصر في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم, بل يمتد ليشمل كافة الانظمة التي تعاقبت على ادارة السلطة في العراق, وصولاً الى تربع البعثين على الحكم في العراق منذ عام 1968, هذه الانظمة كانت لا ترى حراجة في تعطيل قوانين او اعادة صياغتها بما ينسجم ومفاهيمها الحزبية. لذلك يمكن القول, ان الثقافة السياسية في العراق التي ان وجدت كانت نتاج فكر الاحزاب التي حكمت البلاد, فضلا عن قادتها, بتعبير ادق, سلب الهوية الوطنية للمجتمع التي يمكن ان يشعر من خلالها المواطن بانتمائه الوطني, وتقديم الهوية الحزبية على انها النموذج الجديد للشعور بالوطنية[2].

أطاحت ثورة الرابع عشر من تموز 1958 بالنظام الملكي وإعلان العراق نظاما جمهوريا، وكان الزعيم عبد الكريم قاسم جادا في بناء هوية وطنية عراقية، إلا أنه اصطدم بصعود التيار القومي الذي تزعمه عبد السلام عارف الذي طالب بالوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة سوريا ومصر فتوجهت صياغة الهوية من هوية وطنية إلى هوية قومية ، وبهذا الصدد كتب تشارلز تريب في مؤلفه (صفحات من تاريخ العراق) "إن الرجلين قاسم وعارف لم يكونا مختلفين شخصيا فحسب، بل إنهما وقعا في شرك مسألة الهوية العراقية التي ما زالت بلا جواب، فاختلفا حول ما إذا كان العراق دولة أمة، أو جزءا إداريا من امة عربية اكبر حجما، وتم تقويض مشروع عبد الكريم قاسم هو الآخر لوضع جواب للهوية"[3].

على اية حال, بدت هيمنة الشيوعيين واضحة على مراكز القرار وتأثيرهم في مجمل السياسة العامة للعراق, والعمل على تصفية جميع قوى المعارضة العراقية, فضلا عن ذلك تغذية حالة الانقسام التي شهدها الشارع العراقي بفعل انقسام نخبه السياسية الى احزاب وتيارات, فكان الحزب الشيوعي يعمل على تغذية ذلك الانقسام محاولاً ايقاع الخصوم فيما بينهم فالذي حدث في مدينة الكاظمية بين جماعة الشيخ محمد جواد الخالصي وبعض العلماء من خصومات وصولاً الى حالة من الاقتتال عام 1955, كان بتحريض من الحزب الشيوعي بحسب وثائق وزارة الداخلية[4].

لم تكن الشعارات التي يرفعا الشيوعيين تمثل رغبات وآمال الشعب العراقي في تمثيل هويته الوطنية او على الاقل الحفاظ على مبادئه وقيمه الاسلامية, فبينما كانت المدن الدينية على سبيل المثال (النجف وكربلاء والكاظمية) عقد الخمسينيات, تعج بمواكب العزاء في ايام محرم

(1) حميد فاضل حسن, الهوية الوطنية العراقية ازمات الماضي والحاضر الاسباب والمعالجات, "العلوم السياسية (مجلة), العدد49, 2015, ص59.
(2) للمزيد ينظر: ثناء محمد صالح, سوسيولوجيا تاريخ العراق المعاصر، أطروحة دكتوراه (غير منشورة), كلية الآداب, جامعة بغداد، 1999.
(3) طلال حامد خليل, المصدر السابق, ص41.
(4) وزارة الداخلية, مديرية الشرطة العامة, "الاستخبارات السياسية" (جريدة), مج 37, العدد 39, بغداد, 30 ايلول 1955, ص9-16.

الحرام كان الشيوعيين يستغلون تلك الشعارات ويوظفون عباراتها في سبيل تصدير مفاهيم اشتراكية, هذه الشعارات والهتافات (الردات) الحسينية كانت تصدح بها مواكب العزاء قبالة مرقد الامام علي (عليه السلام), منها على سبيل المثال "اتحاد فدرالي, صداقة سوفيتية، ويّه الصين الشعبية", وكذلك, "ايزنهاور ينهار ياحيدر ياكرار"[1]. هنا يمكن ان نبرهن على ان اساليب الشيوعيين في العراق لم تراعي هوية العراق الوطنية التي يمكن ان يراعي عناصرها الفكر السياسي العراقي الذي بدى واضحا انه ينحرف عن مساره الوطني.

بالمقابل كان الصراع السياسي بين الحزب الشيوعي وحزب البعث واضحاً الى درجة انه وصل حد الاقتتال والانتقام كل من الآخر, فمنذ الاعلان في شباط 1957 عن تأسيس الجبهة الوطنية التي ضمت الى جانب حزب البعث والحزب الشيوعي الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال, كان الخلاف واضحاً بين قوى الجبهة وبالتحديد الحزب الشيوعي وحزب البعث في غياب واضح للهوية الوطنية العراقية التي يجب ان تكون مقدمة على كل الاعتبارات السياسية الاخرى, لذلك لم تستمر الجبهة التي تأسست لأهداف وطنية بعد ثورة الرابع عشر من تموز 1958, التي استغلها الحزب الشيوعي محاولاً تمرير ايديولوجية كانت معالمها واضحة بالنسبة للشعب العراقي, فطالبت بسقوط حزب البعث وتصفية قادته الى جانب تصفيه عبد السلام عارف وبدأوا برفع شعارات منها (خمسة بالشهر ماتوا البعثية), فضلا عن تصدير تلك الايديولوجية الى دول اقليمية مطالباً بالقضاء على حكم الرئيس المصري جمال عبد الناصر, وكان الاختبار الحقيقي للحزب الشيوعي في حركة عبد الوهاب الشواف في الموصل التي اعلن في الثامن من آذار 1959 قيام حركة عسكرية تستهدف اسقاط نظام الحكم, هذه الحركة التي لم تكن لتقوم لولا انحراف المسار الوطني للسلطة, التي استغل ضعفها الحزب الشيوعي وعمل بكل امعان في القضاء على الحركة فضلا عن عمليات القتل والتخريب التي شهدتها مدينة الموصل [2].

لذلك, كان التصدي لتلك الافكار امراً حتمياً للمجتمع العراقي على اختلاف طبقاته المتحمس لبناء هويته الوطنية وترجمة عناصرها وتطبيقها كأيديولوجية في بناء الدولة, وتفعيل الفكر الوطني لمواجهة الأفكار والمفاهيم البعيدة عن روح الإسلام, وبالخصوص الأفكار الشيوعية التي استطاعت التغلغل داخل أوساط المجتمع العراقي[3], وبالتحديد في منطقة الفرات الاوسط التي على مايبدو عقد فيها اكثر من (300) اجتماع للحزب الشيوعي خلال عام 1963[4].

المصالح ايّاها التي دفعت الحزب الشيوعي لممارسة اساليب القمع والتنكيل بحركة الشواف, هي نفسها التي دفعت حزب البعث لخوض معركة شرسة لاستلام السلطة والقضاء على هيمنة الحزب الشيوعي على مفاصل الدولة, هذا الصراع كان له الدور الاساس في تحجيم الهوية الوطنية وبدأ الاهتمام بالهوية الحزبية على حساب المشروع الوطني الذي طالما تغنى به قادة تلك الاحزاب.

(1) رشيد الخيون، امالي السيد طالب الرفاعي, ط2, المتحدة للطباعة والنشر، دبي, 2012, ص133-135.
(2) مناف جاسب محمد علي الخزاعي, الصراع البعثي- الشيوعي في العراق 1947-1968, اطروحة دكتوراه (غير منشورة), كلية الآداب, جامعة ذي قار, ص 112-142.
(3) اسحق نقاش, شيعة العراق, ترجمة: عبد الاله النعيمي, ط1, دار المدى للثقافة والنشر, دمشق, 1996, ص285.
(4) F. o, E Q 1017 /3, Confidential, British Embassy, Baghdad, 29 january 1963.

كان مجيء البعثيين للحكم بعد انقلاب الثامن من شباط 1963[1], منطلقا لغلبة الاتجاه القومي في رسم إجابة الهوية الوطنية كإطار عام لحدود الدولة متجاوزا التنوع القومي العراقي، فعلى سبيل المثال ان عمليات التصفية والقتل التي قام بها الحرس القومي كانت تطال الاسلاميون والشيوعيين[2]

وجميع قوى المعارضة للسلطة على حدٍ سواء[3], فعلى سبيل المثال لا الحصر, ان المنطقة الواقعة بين (بغداد –الكوت) اصبحت مقرا لدفن الجثث لعمليات التصفية التي يقوم بها عناصر الحرس القومي وبتوجيه من حزب البعث وباستخفاف وخروج عن القيم الانسانية ومرؤة التعامل مع اجساد الضحايا كان يقف عناصر الحرس على جثث الضحايا ويحتسون الخمر وقد كتب على زجازات (البيرة) "دعونا نشرب نخب –كاس- انتصارات الحزب عليهم"[4]. يذكر ان جميع الجرائم التي ارتكبها الحرس الوطني دونت في كتاب اطلق عليه "الكتاب الاسود" او "المنحرفون" وجميعها وثقت بصور لجميع عمليات القتل والتصفية بحق المعارضة لحزب البعث[5].

مثلت هذه الممارسات عملية تصفية ممنهجة لبناء الهوية الوطنية في العراق بعدما استأثرت طبقة دون اخرى بالسلطة وبدأت بالقتل والترهيب لفرض هويتها الحزبية على حساب باقي الهويات وفي مقدمتها الوطنية.

تطورت الاحداث مع انقلاب 1968[6] ووصول حزب البعث الى السلطة, بعدما انصهرت الدولة في السلطة، وذابت السلطة في الحزب، واختزلت الدولة والسلطة والحزب في شخص صدام

(1) نجح حزب البعث في انقلاب 8 شباط 1963 أو ما يعرف في أدبيات حزب البعث "ثورة الرابع عشر من رمضان", من الإطاحة بحكومة عبد الكريم قاسم. وتربع حزب البعث على سدتها بعد مجازر شهدها ذلك الانقلاب للمزيد ينظر: صالح حسين الجبوري، ثورة 8 شباط 1963 في العراق نهاية حكم عبد الكريم قاسم، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1990؛ هادي حسن عليوي، محاولات القضاء على عبد الكريم قاسم، دار الحرية للطباعة, بغداد، 1990، ص65 وما بعدها.

(2) بالرغم من الايديولوجيا التي يحملها الحزب الشيوعي وعقيدته الالحادية, لكن ذلك لم يمنع المرجع الشيعي السيد محسن الحكيم الوقوف ضد كل عمليات القتل والتعذيب التي يتعرض لها الشيوعيون على يد الحرس القومي, وذلك عندما ارسل ابنه السيد مهدي الحكيم والشيخ علي الصغير للقاء محسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي الاعضاء البارزين في حزب البعث, مؤكدين رفض الحكيم لممارسات القمع التي يقوم بها الحرس القومي ضد الشيوعيين للمزيد ينظر: هاني الفكيكي, أوكار الهزيمة (تجربتي في حزب البعث العراقي), د. مط, د. ت, ص 274؛ علي المؤمن، سنوات الجمر مسيرة الحركة الإسلامية في العراق 1957-1986، ط3, المركز الإسلامي المعاصر, بيروت، 2004, ص 70-71.

(3) F. O, 1015 /15/ 64, Confidential ,Mr Cradociae , Kutor, British Embassy, Baghdad, 17 April 1964.

(4) F. O, Summary of "the deviationists", The Deviationists among the National Guard during the Factionalist Tide", pp4.

(5) F. O, EQ 1015 /33, Restricted C .J .H .Keith, British Embassy, Baghdad, 2 June, 1964.

(6) قاد حزب البعث في العراق انقلاباً في السابع عشر من تموز 1968 بالتعاون مع بعض العناصر غير البعثية، وكان عبد الرزاق النايف قد اعد خطة محكمة لتنفيذ الانقلاب بالاشتراك مع (إبراهيم عبد الرحمن الداود, وسعدون غيدان، واحمد حسن البكر، وصالح مهدي عماش، وحردان التكريتي، وأنور عبد القادر الحديثي) بالاعتماد على كتيبة الدبابات التي كان في القصر الجمهوري وآمرها سعدون غيدان، ولم يجد الانقلابيون مقاومة فبعد ان استيقظ رئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف، وجد ان الامر خارج سيطرته بعدما تم احاطة القصر بالدبابات، عندها أعلن استسلامه وقبل العرض الذي تقدم به الانقلابيون المتضمن تسفيره خارج العراق اذا اراد النجاة، وكان ابراهيم

حسين[1]، لتنتقل كل العناوين التي يمكن ان تحملها هوية العراق المتنوعة في هوية واحدة عنوانها "القائد الضرورة" وفق ايديولوجية "حكم القرية", الذي اقترف ممارسات هددت الوحدة الوطنية، من خلال محاربة المكونات الاجتماعية مثل الكرد لبسط نفوذ الدولة المركزية، وترحيله لأكثر من مليون عراقي من الشيعة العرب والكرد الفيلية[2], بزعم أنهم من أصول غير عربية، وكان تأثير ذلك كبيرا وأدى لانفصال مكونات المجتمع عن الدولة ، وانفصال الفرد عن المجتمع ، رافق كل ذلك اختصار صدام العالم السياسي إلى دوائره العائلية الضيقة وتحولت الدولة الحزب إلى العائلة، الأمر الذي تبلورت معه الهوية العراقية وصياغتها بصورة عبادة الشخصية الفرد فتحولت الهوية أخيرا انعكاساً لشخصية الحاكم, فحل الولاء للحاكم محل الولاء للدولة وتبعثرت هنا الهوية الوطنية التي هي انعكاس حقيقي لقوة وقيمة الدولة[3]. لذلك, ومع السياسة التي سار عليها حزب البعث في اختزال مفهوم الهوية الوطنية في هوية الحزب ومن ثم اختزال الكل في شخصية الحاكم, أصدرت مديرية الأمن العامة عام 1969، بلاغاً سريا إلى كافة مديريات الأمن في المحافظات العراقية

الداود قد اذاع البيان الأول للانقلاب في الساعة السابعة والنصف من صباح ذلك اليوم، بإعلان أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية، وعبد الرزاق النايف رئيساً للوزراء وإبراهيم الداود وزيراً للدفاع للمزيد ينظر: علياء محمد حسين، العهد العارفي في العراق (1963-1968), بغداد, 2013, ص286؛ ابراهيم رسول حسين العامري, التطورات السياسية الداخلية في العراق 1968-1973, رسالة ماجستير (غير منشورة), كلية التربية, جامعة كربلاء, 2017.

(1) صدام حسين: ولد في تكريت عام 1937, كان تعليمه متأخراً ففي عام 1947 التحق بالتعليم الابتدائي, ثم التحق بالثانوية عام 1955, وفي عام 1957 انضم إلى حزب البعث, من ابرز العمليات التي شارك فيها اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم في عام 1959, أصبح نائب رئيس مجلس قيادة (الثورة) عام 1969, حتى اصبح رئيساً لجمهورية العراق في 17 تموز1979, لكن, نتيجة سياسة الحزب الواحد فقد اقحم العراق في حروب اقليمية ابرزها الحرب العراقية – الايرانية عام 1979-1988, وغزو الكويت عام 1991 كلفت العراق مئات الالاف من الضحايا فضلا عن التدهور الاقتصادي للعراق, في التاسع من نيسان 2003 اعلن نهاية حكم صدام حسين, ليعتقل بعدها في قضاء الدور شمال بغداد في مخبأ تحت الأرض وبتنفيذ مباشر من القوات الامريكية, بعد ثمانية أشهر من الملاحقة في 14 كانون الاول 2003, بعملية عرفت باسم "الفجر الأحمر". حوكم عن جرائم بانتهاك حقوق الإنسان منها جريمة الانفال ضد الكرد وحكم عليه بالإعدام شنقاً في 5 تشرين الثاني 2006, نفذ القرار في 30 كانون الاول 2006 للمزيد ينظر: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج12، دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت, 1995، ص 241-243؛ عبد الفتاح ابو عيشة, موسوعة القادة السياسيين "عرب وأجانب", دار اسامة, عمان, 2005, ص176-178؛ حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص 367–369.

(2) الكرد الفيليون: من ابرز مكونات المجتمع العراقي الذين عاشوا منذ مئات السنين في حواضر مدن الوسط والجنوب فضلا عن الشمال, لكن, وجودهم كإمارة على الشريط الحدودي بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية ادى الى عدم استقرار تبعيتها السياسية فتارة تخضع للدولة العثمانية وتارة الى الدولة الفارسية, بحسب وثائق الدولة العثمانية, كان حسن خار ابرز امرائهم يملك اكثر من مئة دار عام 1850, والحال, ان غلام رضا اخر ولاة الكرد الفيلية كان مرشحاً لعرش العراق الى جانب الامير فيصل, انخرط الكرد الفيليون في الحركة الوطنية العراقية خلال العهدين والجمهوري, فضلا عن سيطرتهم الواضحة على التجارة والاقتصاد في العراق للمزيد ينظر: درويش باشا, تقرير درويش باشا رئيس لجنة الحدود العراقية الايرانية قدمه عام (1269ه-1803م), ترجمة: وزارة الخارجية العراقية, 1953, ص30-38؛ فيليب ويلارد ايرلاند, العراق دراسة في تطوره السياسي, ترجمة: جعفر الخياط, دار الكشاف, بيروت, 1949, ص338.

(3) طلال حامد خليل, المصدر السابق, ص41.

بطلب جمع المعلومات عن الاحزاب المعارضة وبالتحديد حزب الدعوة الاسلامية[1], وعن مواكب طلاب الجامعة التي قادها كوكبة من الشباب العراقي المثقف خلال المناسبات الدينية[2].

لاحقاً وبالتحديد في مساء يوم 9 حزيران 1969 تمكنت السلطات البعثية من احراج المرجعية الدينية في النجف الاشرف بعدما اعلن عن احباط محاولة انقلابية كان السيد مهدي الحكيم مشتركاً فيها, استناداً الى الاعترافات التي ادلى بها العقيد مدحت الحاج سري[3]. هذه السياسة التي سار عليها حزب البعث في العراق بعد عام 1968 اوجدت حالة من الفوضى داخل مكونات الشعب العراقي, دفعت باتجاه بعثرة الهوية الوطنية, يبدو ان "فلسفة البعث الإلحادية, والمكانة القيادية التي يشغلها المسيحي ميشيل عفلق", بحسب توصيف المعارضة العراقية التي كان في مقدمتها الفئات المثقفة والنخب الاكاديمية والعلماء دفعت باتجاه مواجهة تلك الافكار التي ادت الى تجزئة الهوية الوطنية[4], بدأت عند ذلك عمليات تصفية ممنهجة لقيادات الحزب الشيوعي وقيادات العمل الاسلامي في العراق, في ضوء ذلك تشكلت محكمة عسكرية برئاسة جار الله العلاف في 13 تشرين الثاني عام 1974، اصدرت حكم الإعدام بحق كلٍّ من (السيد عماد الدين الطباطبائي، والسيد عز الدين حسين القبانجي، ونوري محمد حسين طعمة، وحسين كاظم جلوخان)[5], هذه السياسة وصلت ذروتها بعد قمعها لانتفاضة شعبية عرفت بانتفاضة صفر عام 1977 ضد التسلط البعثي وفرض منهج جاء من الخارج لم يستطع تأسيس هوية وطنية ينتمي اليها المجتمع العراقي, ليعلن المنتفضون رفضهم سياسة البعث مرددين شعارات وطنية في تحدي واضح للسلطة واسلوبها القمعي وابرز تلك الشعارات:[6]

اهل النجف يا أمجاد.... راياتكم رفعوها
اسلامنا ما ننساه.... ايسوا يا بعثية

(1) حزب الدعوة الاسلامية: تأسس عام 1958 بُعيد انقلاب 14 تموز 1958, وضمت القيادة المؤسسة التي اجتمعت في بيت السيد الحكيم في كربلاء كل من (السيد محمد باقر الصدر, ومحمد هادي السبيتي, والسيد مرتضى العسكري, والسيد محمد مهدي الحكيم, وعبد الصاحب دخيل, ومحمد صادق القاموسي ومحمد صالح الأديب), تعرض الحزب لانشقاقات تمثلت بانسحاب السيد الصدر عام 1960, ثم تعرض الحزب لانشقاق آخر حول القيادة عام 1963 بين رجال الدين في الحزب بقيادة عبد الهادي الفضلي و"الافندية" بقيادة السبيتي, لكن الحزب تمكن من مواصلة نشاطاته السياسية رغم الهجمات التي تعرض لها من قبل السلطة وتصفية اغلب قادته ابرزها اعتقال قيادات بارزة في الحزب ابرزهم الشيخ عارف البصري عام 1974 واعدامهم, وكان قد سبقها اعتقال العضو البارز عبد الصاحب دخيل عام 1971 واعدامه, وبدأت عمليات التصفية لكوادره بعد استلام حزب البعث السلطة في العراق عام 1968 للمزيد ينظر: وزارة الداخلية, مديرية الامن العامة, حزب الدعوة الإسلامية الواقع والحقيقة بين الماضي والحاضر, إعداد فريق عمل, د-مط, د-ت, ص3-17؛ من فكر الدعوة الإسلامية, القيادة الحركية في الإسلام, ط1, المركز الإسلامي للأبحاث السياسية, 1982؛ صلاح الخرسان, حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق (فصول من تجربة الحركة الإسلامية في العراق خلال 40 عاما), ط1, المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الإستراتيجية, دمشق, 1999؛ عامر حميد سلطان العابدي, محمد هادي السبيتي ودوره السياسي حتى عام 1980, رسالة ماجستير, كلية التربية, الجامعة المستنصرية, 2017, ص 78-83.

(2) صلاح الخرسان، المصدر السابق, ص156- 172-174.

(3) أحمد عبد الله أبو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق, ج2, مؤسسة العارف للمطبوعات, بيروت, 2007, ص202.

(4) F.O, LR 6/10, Research Department Memorandum 6, The Political Influence of The Shi'is in Iraq, Confidential, 1 April 1965, P21.

(5) وثائق وزارة الداخلية, مديرية الامن العامة, العدد 1110, 1974/11/13, الموضوع (قرار الحكم).

(6) للمزيد عن انتفاضة صفر ينظر: رعد الموسوي, انتفاضة صفر الاسلامية في العراق 1397ه-1977م, ط2, د-مط, 1983.

وبالتزامن مع الذكرى الحادية عشر لانقلاب 17- 30 تموز, وهذا الاجراء حدث تغيير تكتيكي وصف بانه "سابقة فريدة هي الاولى من نوعها في تاريخ العراق, بل ربما في التاريخ السياسي العربي الحديث..."[1], على حد وصف جريدة السفير, بعد تقديم البكر –ربما مجبراً- استقالته فيما عرف بـ "رسالة الوداع" التي وصف فيها خليفته بـ "القائد القادر..." [2], فبعد ستة ايام من وصوله الى السلطة عقد صدام حسين مؤتمراً حزبيا في قاعة الخلد في بغداد, وقد تحدث الرئيس الجديد عن افشال مؤامرة للإطاحة بالقيادة الجديدة, وخلال ايام وبالتحديد في 8 آب 1979 اصدرت المحكمة الحكم بإعدام (22) بعثيا من قيادات الحزب فضلا عن احكام بالسجن شملت (33) بعثيا[3]. يقيناً لم تكن هذه الاساليب تستهدف خلق وعياً سياسيا يحفظ هوية العراق الوطنية, بل على العكس من ذلك, كان الهدف من هذه السياسة انتاج هوية حزبية في اطار ايديولوجيا الحزب الواحد الامر الذي ساعد على تفكيك عناصر القوة في المجتمع العراقي.

صفوة القول, ان مجرد طرح الفكر السياسي على اختلاف نظرياته للخطب الوطنية الثورية مستغلاً الزخم الجماهيري المؤيد لذلك الخطاب, وهو يؤسس هويتهُ الوطنية, بوصف, انه المرجع الاساسي لإدارة الدولة لا يكفي لاستكمال عناصر الهوية, اذا ما اريد للدولة ان تكون نموذج في الحفاظ على هوية العراق الوطنية, بحسب رغبة الفكر السياسي العراقي, فصياغة النظرية السياسية والخطاب الاجتماعي بشكل دوغمائي فيما يعرف بـ "التصلب العقلي", وفي نفس الوقت انطوائي, يكشف المصير الذي قد يؤول اليه ذلك الفكر, من ان امكانية تطبيقه غير ممكنه في العراق, اجتماعياً نتيجة تعدد المذاهب والاديان والطوائف والقوميات من جهة, وسياسياً لتعدد مركز القرار السياسي الذي يعود الى الاختلاف في الانتماءات الحزبية والولاءات الخارجية على مستوى الفكر والتطبيق من جهة اخرى, وبالتالي ضياع الهوية الوطنية, وقد لوحظ الخلل البنيوي في سياسة الدولة العراقية وتعدد مركز القرار السياسي خلال العهدين الملكي والجمهوري, كان التأثير البريطاني على القرار السياسي العراقي واضحاً, فضلا عن تحكم جهة سياسية واحدة بمقدرات البلاد ومصير الشعب.

ثالثاً: رؤى الفكر السياسي الاسلامي العراقي في الحفاظ على الهوية الوطنية 1941-1979:

تعد المشاركة السياسية وتوزيع الثروة ابرز اسس بناء الثقة لدى المجتمع العراقي في اطار تأسيس الهوية الوطنية وبناء المواطنة لإرساء السلم المجتمعي, كمظهر من مظاهر استيعاب القوى الاجتماعية التي تؤثر في القرار السياسي, بأخذ الجانبي الاقتصادي بنظر الاعتبار يبدو ان توزيع الثروة بشكل غير قانوني يساعد على ايجاد على من عدم الثقة بالنظام السياسي وهو يحاول صياغة هويته الوطنية, فللوهلة الاولى تفشل كل المساعي التي تسعى لها السلطة, لذلك ان اي محاولة لإشاعة اي ثقافة سياسية كأداة لاسترجاع الهوية الوطنية تفشل مالم تخضع لرغبات وميول المجتمع الذي يمثل القاعدة الاساس في عملية بناء الدولة[4]. والحال, ان الفكر السياسي الاسلامي حاول ان يكون قريبا من الواقع بتقديمه مقترحات ورؤى سياسية واقتصادية للسلطة في العراق, من اجل النهوض بالواقع السياسي والاقتصادي, الذي انعكس سلبا على المجتمع وفكك هويته الوطنية اذا

(1) "السفير" (جريدة), السنة السادسة, العدد 1828، لبنان، 17 تموز 1979.
(2) المصدر نفسه,
(3) "السفير" (جريدة), السنة السادسة, العدد 1828، لبنان، 17 تموز 1979.
(4) غدي حسن قنديل, المواطنة وتحديات السلم المجتمعي في العراق, "حمورابي" (مجلة), العدد 42, السنة الحادية عشر, 2022, ص102-103.

ماعلمنا ان المجتمع يمثل ""قوة غير خاضعة للمراقبة,... تبطل قواعد المنطق..."[1], فمع تنامي الفكر السياسي الاسلامي واحتدام الايديولوجيا الاسلامية مع الافكار الشيوعية التي طغت على الطبقات الوسطى نتيجة سوء توزيع الثروة واستغلال مشاعر الرفض للنظام السياسي, فضلا عن انعاش الافكار القومية ذات المحتوى العلماني, التي بدأت تطغى على مشاعر القوى الوطنية[2].

رأى الفكر السياسي الاسلامي ان مواجهة التدخل الاجنبي في العراق ومقاومة كل اشكال الاستعمار, ورفض الاحلاف العسكرية التي من شأنها سلب الهوية الوطنية للبلاد, واقامة علاقات على اسس اسلامية مع دول الجوار, هو السبيل الوحيد لتوحيد المجتمع وقبوله للهوية الوطنية التي من الممكن الحفاظ على عناصرها دون اقصاء للهويات الثانوية. لذلك قدم الفكر السياسي الاسلامي عناصر قوة الدولة في سبيل انتاج الهوية الوطنية ابرزها:[3]

1- قيام نظام سياسي على وفق الاطر القانونية الديمقراطية, التي تكفل لجميع اطياف الشعب حق المشاركة السياسية, والمشاركة في الحكم, والسعي الى وحدة التشريع ضماناً لوحدة الشعب.
2- اقامة نظام برلماني عبر انتخابات تشريعية, يتقدم فيها المرشحون ممثلين عن مدنهم, مع تقديم برنامج انتخابي لكل مرشح.
3- تمتين العلاقة مع دول الجوار الاقليمي, واقامة وحدة اقليمية لمواجهة التحديات الخارجية.
4- استقلال المؤسسة العسكرية عن الانتماءات الحزبية.
5- استثمار موارد العراق وايجاد المؤسسات اللازمة لإعداد القوى في الأعمال الاقتصادية لزيادة الإنتاج وتحسين وسائله وتقليل نفقاته.
6- تسعى السلطة السياسية في البلاد الى وضع ملاك لوظائف الدولة يتناسب مع قابلية البلاد وحاجاتها الفعلية, على أسس تكفل سلامة الأحكام والقوانين وسرعة إنجازها, من اجل زرع الثقة بين الدولة والشعب.
7- محاربة جميع الدعوات الطائفية والعنصرية, والافكار والمفاهيم الالحادية, فغير المسلمين، متساوون في الحقوق، سواء كانت حقوقاً سياسية او اجتماعية او اقتصادية

هذه المظاهر لشكل الدولة التي على مايبدو ان قادة الفكر السياسي الاسلامي يعتقدون, ان بلورة الفكر السياسي الاسلامي وتطوره, من خلال النص الالهي والشريعة الاسلامية, امراً ممكناً باعتماد العلوم التقنية فقهاً ولغة, علماً ومنطق وتاريخ, بذلك, يمكن انتاج النظرية السياسية من اجل اقناع المجتمع واقامة دولة العدل الالهي, لكن, وبكل موضوعية فأن هذه التقنيات وما تطرحه من تفسير كلاسيكي ستواجه القطيعة الابستمولوجيا, التي لا يمكن بحال من الاحوال ان تأخذ بكل تلك التفسيرات, فضلاً عن نتائجه[4]. ذلك أن نقيض الاستبداد في العقل الجمعي السياسي الإسلامي ليس الحرية بل العدل, والأخلاق، وليس الديموقراطية[5].

(1) ريجيس دوبريه, نقد العقل السياسي, ترجمة: عفيف دمشقية, دار الآداب, بيروت, 1986, ص43.
(2) عبد الله حنا, المثقفون في السياسة والمجتمع, ط1, الاهالي للنشر والتوزيع, دمشق, 1996, ص83.
(3) للمزيد عن هذا الموضوع ينظر: عامر حميد سلطان العابدي, تطور الفكر السياسي الاسلامي في العراق 1939-1979, اطروحة دكتوراه, كلية التربية, الجامعة المستنصرية, 2023, ص 286.
(4) محمد اركون, الفكر الاسلامي قراءة علمية, ترجمة: هاشم صالح, ط2, المركز الثقافي العربي, بيروت, 1996, ص66.
(5) اوليفيه روا, تجربة الاسلام السياسي, ترجمة: نصير مروة, ط2, دار الساقي, بيروت, 1996, ص 19.

فالتيار الاسلامي في العراق يرى ان سلطة الدولة في العراق كانت في اغلب الاحيان تضطر الى مجاراة المزاج الغربي لا لشيء انما للحفاظ على زعامته السياسية والابقاء على موقعه القيادي في الدولة العراقية, يبدو, ان التنافس الغربي الذي الذي دار في فلك السياسة البريطانية والولايات المتحدة الامريكية، قد عزز من واقع الانقسام السياسي خلال العهدين الملكي والجمهوري, فبينما كانت بريطانيا تسعى للحفاظ على موروثها في ابقاء هيمنتها على مناطق نفوذها كمحمية تابعة للتاج البريطاني[1], كانت الولايات المتحدة تستعد لتدشين حقبة جديدة من السيطرة على العراق بالتزامن مع وصول البعثيين الى السلطة في 17 تموز 1968 بدعم مباشر من جهاز المخابرات الأمريكية (CIA)[2].

ان هذه الاهمية التي ينطوي عليها السعي لتحقيق الهوية الوطنية لدورها المهم في تعزيز الامن الوطني كأحد ابرز القضايا الوطنية التي تواجه العراق الان وفي المستقبل تتطلب، بل وتوجب على النخب الفكرية والسياسية ومراكز الابحاث والدراسات الحكومية والمستقلة، البحث في افضل السبل والأعمال التي تساعد في تعزيز الهوية الوطنية من خلال تعزيز ايمان المجتمع بأهميتها في تحقيق الأمن والاستقرار وفي منع الانقسامات والخلافات الحادة بين افراد المجتمع ومكوناته وبما يساعد ايضاً في تكوين رؤى ومواقف موحدة ازاء القضايا الوطنية الكبرى رغم تعدد الاجتهادات حولها لكن في ظل الهوية الوطنية الموحد، لذلك لا بد من توفير شروط ومستلزمات تحقيق الهوية الوطنية من خلال تشجيع وإقناع الهويات الفرعية او الثانوية للانضمام تحت راية الهوية الوطنية دون الغاء او انتقاص من خصوصياتها وثقافاتها التي تميزها حيث يمكن من خلال ذلك توفير مستلزمات الوصول الى تحقيق هوية وطنية جامعة لكل العراقيين بمختلف مكوناتهم وهوياتهم الفرعية، وسيكون تعزيز الامن الوطني في العراق أحد أبرز الادوار المهمة للهوية الوطنية[3].

الخاتمة:

شكلت الهوية الوطنية تحدياً حقيقياً للفكر السياسي العراقي, بوصفها اداة من ادوات التأثير في السلطة والمجتمع, الذي امتزجت فيه هويته الحزبية التي انتجتها الايدولوجيات الخارجية بالهوية الوطنية, فمن الهوية الليبرالية بعيداً عن هوية العروبة والاسلام حتى عن الشرق على الاقل, الى الهوية اليسارية التي اصطبغت بالإلحاد, يفسر ذلك بالفشل في صياغة الهوية الوطنية او على الاقل الحفاظ على عناصرها, لا بلغة اتهامية غير مبرأة من الانقسام السياسي الذي انعكس سلبا على واقع التكوين السياسي والاجتماعي للعراق الحديث, فمن المفكر المحاصر المأزوم الى التبعي نؤكد معضلة الحفاظ على الهوية الوطنية في العراق بعد ان فقدت قيمتها بسبب انحدار المجتمع الى تكتلات حزبية فرضتها عليه التطورات السياسية في العراق الحديث والمعاصر. لكن, وبلغة التحدي

(1) F. o, 854/ 13/ 45, Dropping of Enemy Agents by Parachutes, British Embassy, MOST SECRET, Baghdad, 25th June, 1943؛ F. O, 834/ 41/ 43, Summary following direct interrogation of three German agents captured near ERBIL, 29 June, and information received from other, British Embassy, MOST SECRET, Baghdad, 6 JUL 1945.

(2) تشير الكثير من الدلائل والقرائن والتي كشفتها الوثائق التاريخية, بان الانقلاب العسكري الذي اطاح بالرئيس عبد الرحمن عارف عام 1968, كان بدعم واسناد من الولايات المتحدة الامريكية للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ودور الولايات المتحدة فيه ينظر: ويليام زيمان, التدخل السري للولايات المتحدة في العراق خلال الفترة 1958-1963 جذور تغير النظام في العراق الحديث بدعم من الولايات المتحدة, ترجمة: عبد الجليل البدري, رسالة ماجستير (منشورة), كلية التربية, جامعة ولاية كاليفورنيا, 2006.

(3) خيري عبد الرزاق جاسم, المصدر السابق, ص210.

يحاول الفكر السياسي بفعل ضغط مداد النخب الوطنية المثقفة ان يعيد ترتيب اولوياته, بدءاً من الانكفاء في زاويته الضيقة الحزبية الى فضاء الحرية بتقديم هويته الوطنية كشعار اساسي على هويته الحزبية, ومن الانقسام السياسي بفعل تقاطع الايديولوجيات الى الوحدة الوطنية.

المصادر :

- فارس حسن المهداوي, مستقبل الاقليات في العراق ومصادر تهديدها, 2021.
- خيري عبد الرزاق جاسم, االشكالية الهوية الوطنية في العراق وسبل ترسيخها, "حمورابي" (مجلة), العدد 30, السنة السابعة, 2019.
- علاء جاسم الحربي, الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق 1883-1933, بغداد, 1990.
- عبد الله حميد العتابي, الحركة الوطنية في كربلاء واثرها في ثورة العشرين,- "تراث كربلاء" (مجلة), السنة الرابعة, المجلد الرابع, العدد الرابع, كانون الاول 2017.
- قحطان حميد كاظم العنبكي, دور النخب السياسية العراقية في تنمية الهوية الوطنية في العهد الملكي (1921-1958), كلية التربية , جامعة ديالي.
- فيصل دراج, في معنى التنوير, ضمن بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية تحت عنوان "حصيلة العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر, بيروت, 2005.
- طلال حامد خليل, الهوية الوطنية العراقية وآفاق المستقبل, "الفكر القانوني والسياسي" (مجلة), المجلد الرابع, العدد الثاني, 2020.
- عماد احمد الجواهري, تاريخ مشكلة الاراضي في العراق 1914-1932, منشورات وزارة الثقافة والفنون, بغداد, 1978.
- هنري فوستر, نشأة العراق الحديث, ج1, ترجمة: سليم طه التكريتي, ط1, الفجر للنشر والتوزيع, بغداد, 1989.
- عبد ربه سكران ابراهيم, السياسة العامة للدولة العثمانية تجاه العشائر العراقية من السلطان سليمان القانوني الى السلطان عبد الحميد الثاني, -"جامعة تكريت" (مجلة), مج 15, عدد الثاني عشر, 2008.
- سامي ناظم حسين المنصوري, الديوانية وتوابعها في وثائق الارشيف العثماني 1865-1917, ط1, دار المدينة الفاضلة, بغداد, 2015.
- عبد الجبار العمر, ذيل مطالع السعود تاريخ الشاوي,-"افاق عربية" (مجلة), بغداد, العدد (7), 1981.
- حميد فاضل حسن, الهوية الوطنية العراقية ازمات الماضي والحاضر الاسباب والمعالجات, "العلوم السياسية (مجلة), العدد49, 2015.
- ثناء محمد صالح, سوسيولوجيا تاريخ العراق المعاصر، أطروحة دكتوراه (غير منشورة), كلية الآداب, جامعة بغداد، 1999.
- وزارة الداخلية, مديرية الشرطة العامة, "الاستخبارات السياسية" (جريدة), مج 37, العدد 39, بغداد, 30 ايلول 1955.
- رشيد الخيون، امالي السيد طالب الرفاعي, ط2, المتحدة للطباعة والنشر، دبي, 2012

- مناف جاسب محمد علي الخزاعي, الصراع البعثي- الشيوعي في العراق 1947-1968, اطروحة دكتوراه (غير منشورة), كلية الآداب, جامعة ذي قار.
- اسحق نقاش, شيعة العراق, ترجمة: عبد الاله النعيمي, ط1, دار المدى للثقافة والنشر, دمشق, 1996.
- صالح حسين الجبوري، ثورة 8 شباط 1963 في العراق نهاية حكم عبد الكريم قاسم، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1990؛ هادي حسن عليوي، محاولات القضاء على عبد الكريم قاسم، دار الحرية للطباعة, بغداد، 1990.
- هاني الفكيكي, أوكار الهزيمة (تجربتي في حزب البعث العراقي), د. مط, د. ت, ص 274؛ علي المؤمن، سنوات الجمر مسيرة الحركة الإسلامية في العراق 1957-1986، ط3, المركز الإسلامي المعاصر, بيروت، 2004.
- علياء محمد حسين، العهد العارفي في العراق (1963-1968), بغداد, 2013.
- ابراهيم رسول حسين العامري, التطورات السياسية الداخلية في العراق 1968-1973, رسالة ماجستير (غير منشورة), كلية التربية, جامعة كربلاء, 2017.
- مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج12، دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت, 1995.
- عبد الفتاح ابو عيشة, موسوعة القادة السياسيين "عرب وأجانب", دار اسامة, عمان, 2005
- درويش باشا, تقرير درويش باشا رئيس لجنة الحدود العراقية الايرانية قدمه عام (1269ه-1803م), ترجمة: وزارة الخارجية العراقية, 1953, ص30-38؛ فيليب ويلارد ايرلاند, العراق دراسة في تطوره السياسي, ترجمة: جعفر الخياط, دار الكشاف, بيروت, 1949
- وزارة الداخلية, مديرية الامن العامة, حزب الدعوة الإسلامية الواقع والحقيقة بين الماضي والحاضر, إعداد فريق عمل, د-مط, د-ت.
- عامر حميد سلطان العابدي, محمد هادي السبيتي ودوره السياسي حتى عام 1980, رسالة ماجستير, كلية التربية, الجامعة المستنصرية, 2017.
- أحمد عبد الله أبو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق, ج2, مؤسسة العارف للمطبوعات, بيروت, 2007.
- وثائق وزارة الداخلية, مديرية الامن العامة, العدد 1110, 1974/11/13, الموضوع (قرار الحكم).
- رعد الموسوي, انتفاضة صفر الاسلامية في العراق 1397ه-1977م, ط2, د-مط, 1983.
- "السفير" (جريدة), السنة السادسة, العدد 1828، لبنان، 17 تموز 1979.
- غدي حسن قنديل, المواطنة وتحديات السلم المجتمعي في العراق, "حمورابي" (مجلة), العدد 42, السنة الحادية عشر, 2022
- ريجيس دوبريه, نقد العقل السياسي, ترجمة: عفيف دمشقية, دار الآداب, بيروت, 1986
- عبد الله حنا, المثقفون في السياسة والمجتمع, ط1, الاهالي للنشر والتوزيع, دمشق, 1996
- عامر حميد سلطان العابدي, تطور الفكر السياسي الاسلامي في العراق 1939-1979, اطروحة دكتوراه, كلية التربية, الجامعة المستنصرية, 2023
- محمد اركون, الفكر الاسلامي قراءة علمية, ترجمة: هاشم صالح, ط2, المركز الثقافي العربي, بيروت, 1996

- اؤليفيه روا, تجربة الاسلام السياسي, ترجمة: نصير مروة, ط2, دار الساقي, بيروت, 1996.
- ويليام زيمان, التدخل السري للولايات المتحدة في العراق خلال الفترة 1958-1963 جذور تغير النظام في العراق الحديث بدعم من الولايات المتحدة, ترجمة: عبد الجليل البدري, رسالة ماجستير (منشورة), كلية التربية, جامعة ولاية كاليفورنيا, 2006.
- F. o, 854/ 13/ 45, Dropping of Enemy Agents by Parachutes, British Embassy, MOST SECRET, Baghdad, 25th June, 1943؛ F. O, 834/ 41/ 43, Summary following direct interrogation of three German agents captured near ERBIL, 29 June, and information received from other, British Embassy, MOST SECRET, Baghdad, 6 JUL 1945.
- F. O, 1015 /15/ 64, Confidential ,Mr Cradociae , Kutor, British Embassy, Baghdad, 17 April 1964.
- F. O, Summary of "the deviationists, The Deviationists among the National Guard during the Factionalist Tide"
- .F. O, EQ 1015 /33, Restricted C .J .H .Keith, British Embassy, Baghdad, 2 June, 1964.
- F.O, LR 6/10, Research Department Memorandum 6, The Political Influence of The Shi'is in Iraq, Confidential, 1 April 1965.
- F. o, E Q 1017 /3, Confidential, British Embassy, Baghdad, 29 january 1963.